الظاهرات الطبيعية وأهميتها في تعيين الحدود السياسية

أ.د. عبد العظيم أحمد عبد العظيم
أستاذ الجغرافيا السياسية، قسم الجغرافيا
كلية الآداب. جامعة دمنهور. مصر

الظاهرات الطبيعية وأهميتها في تعيين الحدود السياسية

أ.د. عبد العظيم أحمد عبد العظيم [1]

الحدود السياسية Boundaries: هى خطوط ترسم على الخرائط لتبين الأراضى التى تُمارس فيها السيادة، والتى تتمتع فيها الدولة وحدها بحق الانتفاع والاستغلال، ويدخل ضمن أراضى الدولة ورقعتها السياسية: المسطحات المائية الداخلية أو الخارجية بعمق ١٢ميل بحري [2] ، وحتى ٢٠٠ ميل بحري. وتصنف الحدود حسب النشأة إلى (حدود طبيعية - عرقية- تاريخية-هندسية- معقدة).

وتتعدد أنواع الحدود السياسية وأشكالها، فمنها ما يستند على ظاهرات السطح ومن ذلك:

- **السلاسل الجبلية:** فحيثما توجد هذه السلاسل فاصلة بين دولتين تتخذ مجالا لرسم الحدود السياسية التى يتفق على رسمها تفصيلا. ومثالها: جزء من الحد السياسي بين الصين وروسيا، والذي يستند إلى الامتدادات الشمالية لجبال خانجاى ويابلونى.

- **البحار:** وتعد حدودا جيدة، وبخاصة في المساحات الواسعة كالمحيطات والبحار المفتوحة.

- **الأنهار:** نجحت الأنهار في كثير من جهات العالم في اتخاذها وسيلة لرسم الحدود السياسية الفاصلة بين كثير من الدول الجارات.. فنهر الأمور يستند فيه جزء منه جزء من الحدود السياسية بين الصين وروسيا، ونهر السنغال بين السنغال وموريتانيا.

- **البحيرات:** أدى كثير من بحيرات العالم أدواره في ترسيم الحدود السياسية، ومنها البحيرات العظمى بين الولايات المتحدة والمكسيك.

- **المستنقعات:** مثلث المستنقعات مجالا للحدود السياسية بين دول متجاورة. لكن أمثلتها قليلة على خريطة العالم السياسي.

- **الصحارى:** حيث تمر الحدود في نطاقات فارغة أو شبة فارغة سكانيا.. وذلك ليس مجال نزاع يدعو إلى مشاكل إلا إذا مر الخط السياسي في واحة أو مناطق ذات ثروات معدنية. وكل الحدود العربية الخليجية تسير داخل الصحراء.

وللحدود السياسية عدة وظائف منها: تنظيم انتقال الأفراد والجماعات والإصدارات الإعلامية والثقافية الداخلة إلى الدولة والخارجة منها، وحماية الإنتاج الاقتصادي، وحماية النظم الاقتصادية والسياسية، وتنظيم التبادل التجاري بين «الدولة» ودول العالم الأخرى، والدفاع عن الدولة بالمعنى العسكري. ولما كانت للحدود السياسية تلك الأهمية في آداء وظائفها؛ فإن الخريطة السياسية تشهد عشرات المشكلات الحدودية، التى نعرض منها لتلك النماذج:

وكان يوجد في الماضي ما يسمي مناطق التخوم بين الدول. وهذه المناطق لم تكن تدعيها أي دولة لنفسها، كما أنها لم تكن مكشوفة أو مستقلة. وقد اختفت مناطق التخوم عندما توسعت الدول فيها، واستولت عليها، وقامت باستغلال مواردها وتعميرها وتحولت الفواصل بين الدول نتيجة لذلك من التخوم إلي خطوط الحدود السياسية المعروفة في الوقت الحاضر.

وقد تم تتبيع كل يابس الكرة الأرضية تقريباً - باستثناء أنتاركتيكا القطبية إلي دول العالم. أي لم تعد هناك مناطق تخوم يابسة بالمعني القديم المعروف لكي تدعيها الدول.

وبدأت الدول تتجه صوب البحر، وحددت الدول الساحلية منها لنفسها نطاقاً من المياه الإقليمية وآخر من المياه المتصلة وثالثاً من المياه المحايدة وعلاوة علي نطاق المياه الداخلية. وكل هذا بدافع البحث عن مصادر الثروة، وخدمة وحماية الدولة، وتدرج الأمر إلي الرصيف القاري الغاطس لاستغلال موارد الثروة الموجودة فيه. وستتوسع الدول الساحلية تدريجياً في البحار والمحيطات المجاورة بحثا عن مصادر الثروة المتنوعة. وهنا يتبادر للذهن السؤال التالي: هل ستصبح البحار والمحيطات بمثابة نوع جديد من مناطق التخوم التي ستتوسع فيها الدول الساحلية مستقبلاً؟.

توجد مجموعة من الدول الحاجزة في الوقت الحاضر. وتمكنت هذه الدول الحاجزة من البقاء نتيجة لقيامها بوظيفتها الحاجزة بين عدة دول متنافسة. وترجع نشأة هذه الدول الحاجزة إلي الرغبة في تقليل الاحتكاك بين قوتين متصارعتين أو أكثر أي أن القوي العظمي هي التي خلقت هذه الدول.

---

[1] أستاذ الجغرافيا السياسية، قسم الجغرافيا، كلية الآداب .. جامعة دمنهور.. مصر

[2] الميل البحري = ١,٨٥٢ مترا، والعقدة : وحدة قياس السرعة البحرية وتساوي ١,٨٥٢ كيلو متر / ساعة.

ويمكن تصنيف الدول الحاجزة إلي حاجزة طبيعية، وحاجزة سياسية. ولابد من توافر شروط طبيعية واقتصادية وسياسية معينة في الدول الحاجزة طبيعياً.

فمن الناحية الطبيعية يستلزم الأمر وجود صعوبة طبيعية كأن تكون الدولة معقدة التضاريس أو شبه صحراوية، أو تنتشر المستنقعات علي حدودها لنقل حركات الانتقال عبر أراضيها ما أمكن من الناحية الاقتصادية يكون من الأفضل للدولة الحاجزة طبيعياً أن لا تخرقها مجاري مائية صالحة للملاحة، ولا تنتشر بها شبكات جيدة من السكك الحديدية، وأن لا تحتوى علي موارد ثروة كبيرة تغري جيرانها بالعدوان عليها. أما من الناحية السياسية فيجب ألا يكون لها مطامع إقليمية، أو اهتمام كبير بشئون الجهات المجاورة، كما أنها يجب ألا تعتمد على إحدى الدول العظمي المجاورة.

وتنطبق الخصائص السابقة تمام الانطباق علي أفغانستان، وسويسرا، وإلي حد ما علي منغوليا الشعبية، ويعتقد البعض بأن الدول الحاجزة في الوقت الحاضر إنما هي تمثل مناطق تخوم بين القوي المتصارعة. ويتبع هذا السؤال التالي: هل ستستثمر هذه الدول الحاجزة في البقاء مستقبلاً؟ أم هل ستبتلعها القوى المتصارعة؟. ويؤدي الوضع بالنسبة للجيران في بعض الأحيان إلي ضرورة وجود الدول الحاجزة BUFFER STATES وهي وحدات سياسية صغيرة الحجم بين وحدات سياسية ضخمة ومثل هذه الدول الحاجزة تبقي كمانع للصدام بين الجانبين الكبيرين، كما أن القضاء عليها من جانب لا يقابل بمقاومة هذه الوحدات الصغيرة فحسب، بل بمعارضة الجانب الآخر أيضاً. ويمكن في هذا المجال اعتبار بلجيكا وهولندا ولوكسمبورج دول حاجزة بين ألمانيا من جانب وفرنسا من جانب آخر، كما قامت بولندا وتشيكوسلوفاكيا ورومانيا كدول حاجزة بين وسط أوروبا من ناحية والاتحاد السوفييتي السابق من ناحية أخرى، وقد خشيت بريطانيا وهي في الهند من نمو روسيا القيصرية وتوسعاتها في القرن التاسع عشر، من ثم خلقت دول حاجزة، تمثلت في أفغانستان، بل وامتد إقليم وكان wakhan من أفغانستان علي هيئة إصبع ليصل إلي سنكيانج، ولعل إمارات نيبال وبهوتان وسيكيم في شمال الهند امتداد لهذه الأقطار الحاجزة.

وما دولة الغساسنة عند هوامش الشام الصحراوية الجنوبية إلا صورة من صورها، فهي كدولة حاجزة في ظل السيادة الرومانية، شبه الجزيرة العربية علي الشام الروماني آنذاك، كما دعمت الإمبراطورية الفارسية دولة «الحيرة» عند هوامش الرافدين الصحراوية لذات الهدف تقريباً، وقد شاع وجودها عقب انهيار الإمبراطورية الرومانية . وتمزقها إلي عشرات من الإقطاعيات، التي اتجهت بعد ذلك للاتحاد فيما بينها، مستخدمة ذات الأسلوب الروماني في إقامة نقط الدفاع الأمامية، والعمل علي وجود مناطق حاجزة فيما بينها، وكذلك ظهر هذا الأسلوب علي طول الحدود العربية البيزنطية، وقد عرفت عند العرب بالعواصم والثغور، هذه التي قامت بدور المراكز الدفاعية الأمامية وبدور المناطق الحاجزة وقت السلم، وكذلك علي طول حدود القيصرية الروسية مع القبائل في سهوب وسط آسيا.

وعادة ما يترابط توزيع هذه المراكز الدفاعية والمناطق الحاجزة مع أجزاء شديدة الوعورة من سطح الأرض، تلبية لشروط وظيفتها الدفاعية الأساسية، وفي نفس الوقت فإن مثل هذه الشروط قد تؤدي إلي عزلة المنطقة الحاجزة ونموها الخاص، خارج نفوذ الدول المتصارعة علي جوانبها، ومن النماذج التقليدية في هذا المجال النموذج الأرميني، فأرمينيا تقع حيث تتقابل مجموعة كبيرة من السلاسل الجبلية في عقدة جبلية تعرف بعقدة أرمينيا، فأراضيها شديدة الوعورة، متنوعة التضاريس بين جبال وأحواض ووديان، ويفصلها حوض القوقاز المنخفض من الجبال الشمالية، وقد أدي ذلك إلي قلة السكان وتعثرهم، وهيأ لها الظروف لكي تصبح منطقة حاجزة نموذجية، باعتبارها منطقة وعورة وعزلة، وفصلت طوال تاريخها بين الإمبراطوريتين الرومانية والفارسية، وبين الدولتين البيزنطية والعربية الإسلامية، وبقيت ميداناً للصراع بين روسيا والدولة العثمانية، وتطوره كمنطقة شبة مستقلة حتى احتواها الاتحاد السوفييتي إبان فترة توسعه في اتجاه الجنوب نحو أرمينيا وأذربيجان وسهول وسط آسيا وما تزال هذه الظاهرة السياسية موجودة في الخريطة السياسية المعاصرة للعالم.

ولقد أدت المنعة الطبيعية لمناطق الجبال، وعلي النحو الذاتي لبعض وحداتها السياسية، إلي ظهور دول معتصمة بالمناطق الجبلية تماماً، ثم أدت التطورات السياسية المضطردة والاستقطاب الأيديولوجي العالمي إلي اقتراب

أطراف الاستقطاب من حدودها، ومن ثم فقد أصبحت بمثابة مناطق حاجزة بينها، ومن أبرز أمثلتها « أفغانستان» هذه التي بقيت طويلاً بعيدة عن السيطرة المباشرة لأي من القوي الرئيسية في عالم القرنين التاسع عشر والعشرين، غير أن عملية الاستقطاب المشار إليها قد جذبتها إلي الدائرة السوفيتية، وما يزال الصراع دائراً بين عوامل المنعة الطبيعية والشخصية التاريخية الحضارية المتميزة لأفغانستان.

وتقدم « منغوليا » علي الحدود السوفيتية الصينية، نموذجاً ثانياً لدولة تسعي لأن تكون محايدة بين قطبين بجنباتها، الصين جنوباً والاتحاد السوفييتي شمالاً، ولقد اكتسبت طبيعتها الحاجزة من هذا الصراع الحديث الذي استقر بين الصين والاتحاد السوفييتي، حول شرعية التوسع الروسي في الأراضي الأسيوية (سيبيريا - سهول وسط آسيا)، هذه التي تنظر إليها الصين استراتيجياً باعتبارها أجزاء من الصين الأم، انتزعها الاتحاد السوفييتي في فترة ضعفها، وفي إطار السياسة الصينية علي الاتحاد السوفييتي أن يتراجع إلي غربي الأورال أي يتخلي عن كافة أراضيه الأسيوية، يتحدد وضع منغوليا كدولة حاجزة بين قوميتين متصارعتين.

وظهر نوع جديد من الحدود السياسية في أعقاب الحرب العالمية الثانية وهي الحدود المدولة، ومن أبرز أمثلتها خطوط الهدنة عبر كوريا وفيتنام وقد ظهرت هذه الحدود خشية اندلاع حرب بين المنطقتين اللتين تفصلهما ويرتبط الحفاظ علي استمرار السلام في مناطق الحدود هذه بوجود قوات دولية من قبل منظمة الأمم المتحدة لفترات محددة تقتضيها ظروف كل منطقة وقد تستمر الحدود المدولة علي ما هي عليه علي أساس أنها خطوط وقف إطلاق النار أو خطوط سياسية نتجت عن تسوية تضمنها وتحافظ عليها في نفس الوقت قوات دولية كما هي في بعض مناطق الشرق الأوسط.

قائمة المراجع

- عبد العظيم أحمد عبد العظيم: الجغرافيا السياسية، ط٣، مكتبة الإسراء، الإسكندرية، ٢٠٠٨.

- فتحي محمد أبو عيانة: الجغرافيا السياسية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٥

- محمد عبد الغني سعودي: الجغرافيا السياسية المعاصرة، دراسة الجغرافية والعلاقات السياسية الدولية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٥

- محمد محمود الديب: الجغرافيا السياسية منظور معاصر، مكتبة الانجلو المصرية، ٢٠٠٨.

- Andrew Boyd & Joshua Comenetz, (2007), An Atlas Of World Affairs, Eleventh Edition, Rutledge, London And New York.

- Bogs S.W., International Boundaries; The Study Of Boundary Function Problems, New York, 1990.

- Cohen S.B, Geography And Politics In A Word Divided, Heffer, London,1994

- Johnston, R. J., (2005): Political Geography, Oxford University Press, Oxford.

- Muir, R., (2004): Modern Political Geography (3rd Edition) Macmillan, London.